تُعدّ المنهجية من أبرز القضايا التي شغلت الفكر اللساني العربي الحديث، ذلك أن تطور الدراسات اللغوية لم يعد مرتبطًا بمجرد وصف الظواهر اللغوية أو تفسيرها، وإنما أصبح يتطلب امتلاك رؤية منهجية متكاملة تحدد طبيعة الموضوع اللغوي وأدوات تحليله والمرجعيات النظرية التي يستند إليها الباحث في دراسته. 1 وقد شهدت اللسانيات العربية تحولات عميقة نتيجة احتكاكها باللسانيات الغربية الحديثة، خاصة منذ انتقال النظريات اللسانية البنيوية والتوليدية والتداولية والنصية إلى الجامعات العربية. غير أن هذا الاحتكاك أثار جملة من الإشكالات تتعلق بمدى قدرة الباحث العربي على استيعاب هذه المناهج وتطبيقها على اللغة العربية، ومدى إمكانية بناء منهج لساني عربي يستند إلى التراث اللغوي العربي دون الانغلاق عليه. 2 ومن هنا تبرز إشكالية المنهج في اللسانيات العربية باعتبارها قضية معرفية وإبستمولوجية تتجاوز مجرد الاختيار بين المناهج، لتشمل طبيعة العلاقة بين التراث والحداثة، وبين الخصوصية اللغوية العربية والمناهج اللسانية الكونية. الإشكالية المركزية: إلى أي مدى استطاعت اللسانيات العربية الحديثة بناء منهج علمي مستقل في دراسة اللغة العربية، وما طبيعة العلاقة بين المناهج التراثية والمناهج اللسانية الغربية في تشكيل المعرفة اللسانية العربية المعاصرة؟ المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي للدرس اللساني 1. مفهوم المنهج: المنهج في الاصطلاح العلمي هو مجموعة من المبادئ والإجراءات والخطوات المنظمة التي يعتمدها الباحث في دراسة ظاهرة معينة بهدف الوصول إلى معرفة دقيقة وموضوعية. أما في المجال اللساني، فيتمثل المنهج في مجموع التصورات النظرية والإجراءات التطبيقية التي يعتمدها الباحث في تحليل اللغة ووصف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية. 3 2. الفرق بين المنهج والنظرية والإجراء: من الضروري التمييز بين ثلاثة مفاهيم: ● النظرية: التصور الفكري الذي يفسر طبيعة اللغة وآليات اشتغالها. ● المنهج: الطريق العلمي المعتمد لدراسة الظاهرة اللغوية. ● الإجراء: الأداة التطبيقية المستخدمة في تحليل المادة اللغوية. فمثلًا، تمثل البنيوية توجهًا لسانيًا، ويُعد التحليل الوصفي أحد إجراءاتها المنهجية، بينما يمثل تحديد العلاقات بين الوحدات اللغوية إجراءً تطبيقيًا. 3.خصوصية المنهج في الدراسات اللسانية تتميز اللسانيات بخصوصية منهجية تتمثل في تعدد مستويات التحليل، إذ يمكن دراسة اللغة من خلال المستوى الصوتي والفونولوجي والصرفي والتركيبي والدلالي والتداولي والنصي والخطابي. 4 المبحث الثاني: المنهج في التراث اللغوي العربي 1. الأسس المنهجية عند النحاة العرب: لم يكن الدرس اللغوي العربي القديم خاليًا من المنهج، بل عرف تقاليد علمية دقيقة في جمع المادة اللغوية وتصنيفها وتحليلها. وقد اعتمد النحاة العرب مجموعة من الأسس، أهمها: أ. المنهج الاستقرائي: تمثل في جمع الشواهد اللغوية من القرآن الكريم والشعر العربي وكلام العرب، ثم استخلاص القواعد العامة منها. ب. المنهج الوصفي: ظهر في وصف الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية كما وردت في الاستعمال العربي. ج. المنهج القياسي: تمثل في إلحاق الفروع بالأصول اعتمادًا على العلل والضوابط التي وضعها النحاة. د. المنهج التعليلي: اعتمد تفسير الظواهر اللغوية والبحث عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهورها. 5 2. أبرز أعلام المنهج اللغوي العربي: أ. سيبويه: أسس في كتابه الكتاب تصورًا متكاملًا لوصف الظواهر النحوية والصرفية والصوتية، معتمدًا على الشواهد والتحليل والاستقراء. 6 ب. الخليل بن أحمد الفراهيدي: اعتمد الدقة في الملاحظة والاستقراء والتصنيف، وأسهم في تأسيس علم العروض والمعجم العربي من خلال كتاب العين. 7 ج. ابن جني قدم تصورًا عميقًا لقضايا اللغة في كتابه الخصائص، وناقش العلاقة بين الصوت والمعنى والاشتقاق والقياس. 8 د. عبد القاهر الجرجاني: طور نظرية النظم، التي تنظر إلى المعنى من خلال العلاقات التركيبية بين الكلمات، وهو ما يمنحها أهمية في الدراسات اللسانية والنصية الحديثة. 9 3. حدود المنهج التراثي: على الرغم من القيمة العلمية للتراث اللغوي العربي، فإن المنهج التراثي لم يكن بمنأى عن بعض الحدود، ومنها ارتباط بعض الدراسات بالأغراض التعليمية والتقعيدية، وغلبة الاتجاه المعياري في عدد من المؤلفات النحوية، ومحدودية الاهتمام باللغة في سياقاتها الاجتماعية والتواصلية. ومع ذلك، لا ينبغي الحكم على التراث بمقاييس اللسانيات المعاصرة وحدها، بل يجب فهمه في سياقه التاريخي والمعرفي. المبحث الثالث: المناهج اللسانية الغربية وأثرها في الدرس اللساني العربي الحديث 1. المنهج التاريخي المقارن: ظهر هذا المنهج في القرن التاسع عشر، ويهتم بدراسة اللغات عبر مراحلها الزمنية، والكشف عن أصولها والعلاقات التاريخية التي تربط بينها. 10 وقد أسهم في تطوير الدراسات المتعلقة بتاريخ اللغة العربية ولهجاتها، والمقارنة بينها وبين اللغات السامية. 2. المنهج الوصفي البنيوي: يرتبط هذا المنهج بأعمال فرديناند دي سوسير، الذي أحدث تحولًا في دراسة اللغة من خلال النظر إليها بوصفها نظامًا من العلامات والعلاقات. 11 ومن أهم مبادئه: ● دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها. ● التمييز بين اللغة والكلام. ● التمييز بين الدراسة التزامنية والدراسة التعاقبية. ● دراسة العلاقات بين الوحدات اللغوية. وقد أسهم المنهج البنيوي في إعادة النظر في دراسة الأصوات والتراكيب والدلالة، كما ظهر أثره في أعمال عدد من الباحثين العرب، ومنهم

Summarized by © lakhasly.com

تمام حسان ومحمود السعران وأحمد مختار عمر. 12 3. المنهج التوليدي التحويلي: يرتبط هذا المنهج بالعالم الأمريكي نعوم تشومسكي، الذي قدم تصورًا جديدًا للغة باعتبارها قدرة ذهنية يمتلكها الإنسان. 13 ومن أبرز مرتكزاته: ● التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء اللغوي. ● البحث عن القواعد التي تمكن المتكلم من إنتاج عدد غير محدود من الجمل. ● الاهتمام بالبنية العميقة والبنية السطحية في التصورات التوليدية الكلاسيكية. ● دراسة التحويلات التي تطرأ على التراكيب اللغوية. وقد ساعد هذا المنهج على إعادة دراسة الجملة العربية وتحليل العلاقات التركيبية. 4. المنهج التداولي: يهتم المنهج التداولي بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، ويركز على العلاقة بين الملفوظ والمتكلم والمخاطب والسياق. ومن أبرز موضوعاته أفعال الكلام والاستلزام الحواري والافتراض المسبق والسياق والمقام والقصدية والتواصل. 14 وقد استفادت الدراسات العربية من أعمال أوستين وسيرل وغرايس في تحليل الخطاب والحوار والظواهر البلاغية. 5. المنهج النصي والخطابي: انتقل البحث اللساني من دراسة الجملة بوصفها وحدة أساسية إلى دراسة النص بوصفه وحدة لغوية وتواصلية كبرى. وقد اهتم هذا الاتجاه بمفاهيم الاتساق والانسجام والإحالة والحذف والاستبدال والتماسك النصي والعلاقات الدلالية. 15 ومن أبرز أعلامه روبرت دي بوجراند وفولفغانغ دريسلر وهاليداي وحسن. المبحث الرابع: مظاهر إشكالية المنهج في اللسانيات العربية الحديثة 1. إشكالية العلاقة بين التراث والحداثة: تُعد العلاقة بين التراث اللغوي العربي والمناهج اللسانية الغربية من أبرز القضايا الخلافية. وقد ظهرت في هذا السياق ثلاثة اتجاهات: الاتجاه التراثي، والاتجاه الحداثي، والاتجاه التوفيقي. ويحاول الاتجاه التوفيقي الجمع بين التراث اللغوي العربي والمناهج الغربية الحديثة، من خلال الإفادة من المفاهيم التراثية والأدوات اللسانية المعاصرة دون الوقوع في التقليد أو الانغلاق. 16 2. إشكالية النقل والترجمة: من المشكلات الأساسية التي واجهت اللسانيات العربية تعدد الترجمات للمصطلحات الغربية، الأمر الذي أدى إلى اضطراب المصطلح وعدم استقرار المفاهيم. وتظهر هذه المشكلة في تعدد المقابلات العربية لمصطلحات مثل Performance. وCompetence وDiscourse وPragmatics وStructuralism وLinguistics وتكمن خطورة هذه الإشكالية في أن اختلاف المصطلح قد يؤدي أحيانًا إلى اختلاف الفهم النظري للمفهوم نفسه. 17 3. إشكالية تطبيق المناهج الغربية على اللغة العربية: من الإشكالات المهمة افتراض صلاحية المنهج الغربي للتطبيق على اللغة العربية دون مراعاة خصائصها البنيوية والصوتية والصرفية والتركيبية. فاللغة العربية تتميز بنظام الاشتقاق القائم على الجذور والأوزان، والإعراب والعلاقات العاملية، وظاهرة التقديم والتأخير، والتمييز بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وظاهرة الحذف والتقدير. ومن ثم فإن تطبيق أي نموذج لساني على العربية ينبغي أن يراعي طبيعة هذه الخصائص، وألا يفرض عليها تصورات لا تنسجم مع نظامها. 18 4. إشكالية غياب التكامل المنهجي: تتمثل هذه الإشكالية في اعتماد بعض الدراسات على مناهج متعددة دون تحديد العلاقة بينها أو توضيح الأسس النظرية التي تجمعها. وينتج عن ذلك الخلط بين النظرية والمنهج، واضطراب التحليل والتفسير، وغياب الدقة في توظيف المصطلحات، وضعف النتائج العلمية. 5. إشكالية النظرية والتطبيق: من مظاهر أزمة المنهج في اللسانيات العربية وجود فجوة بين المعرفة النظرية والممارسة التطبيقية؛ إذ تكتفي بعض الدراسات بعرض المناهج الغربية ومفاهيمها دون الانتقال إلى تحليل مدونات لغوية عربية بصورة دقيقة. 19 6. إشكالية استقلال المعرفة اللسانية العربية يُطرح هنا سؤال جوهري: هل توجد لسانيات عربية حديثة بالمعنى العلمي الدقيق، أم أن الموجود مجرد تلقي للمناهج والنظريات الغربية؟ إن الاستقلال العلمي لا يتحقق بمجرد ترجمة النظريات، وإنما يتطلب القدرة على إنتاج المفاهيم وصياغة الأسئلة وبناء النماذج التحليلية واختبارها على المدونة العربية. 20 المبحث الخامس: نحو تأسيس منهج لساني عربي معاصر إن تجاوز أزمة المنهج في اللسانيات العربية لا يتحقق برفض المناهج الغربية أو الاكتفاء باستعادة التراث، وإنما يتطلب بناء رؤية علمية نقدية قادرة على استيعاب المنجز اللساني الإنساني وتوظيفه في دراسة اللغة العربية. ويمكن اقتراح مجموعة من الأسس لتحقيق ذلك: 1. إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وتطوير مفاهيمه. 2. الاستفادة النقدية من المناهج الغربية. 3. توحيد المصطلح اللساني العربي. 4. الربط بين النظرية والتطبيق. 5. تطوير البحث اللساني البيني. 6. بناء مشاريع بحثية جماعية لإنشاء المدونات اللغوية والمعاجم الحاسوبية. المبحث السادس: نماذج من جهود الباحثين العرب في تجديد المنهج اللساني يمكن الوقوف عند مجموعة من الأسماء التي أسهمت في تطوير الدرس اللغوي العربي الحديث: ● تمام حسان: تطوير البحث اللغوي الوصفي وإعادة النظر في قضايا النحو العربي. ● إبراهيم أنيس: تطوير الدراسات الصوتية واللهجية. ● محمود السعران: التعريف بعلم اللغة الحديث ومناهجه. ● أحمد مختار عمر: الدراسات الدلالية والمعجمية. ● عبد السلام المسدي: دراسة المصطلح اللساني وقضايا الفكر اللساني العربي. ● عبد القادر الفاسي الفهري: تطوير الدراسات التوليدية والتركيبية العربية. ● أحمد المتوكل: تطوير البحث اللساني الوظيفي والتداولي. ● مصطفى غلفان: نقد

Summarized by © lakhasly.com

الخطاب اللساني العربي ودراسة تاريخ اللسانيات. خاتمة نخلص من خلال هذه الدراسة إلى أن إشكالية المنهج في اللسانيات العربية ليست مجرد خلاف حول اختيار المنهج المناسب لدراسة اللغة، وإنما هي إشكالية معرفية عميقة ترتبط بطبيعة تشكل المعرفة اللسانية العربية، وبالعلاقة بين الموروث اللغوي العربي والمناهج الغربية الحديثة.لقد أثبت التراث اللغوي العربي امتلاكه أسسًا منهجية مهمة في الاستقراء والوصف والقياس والتعليل، كما أسهم الاحتكاك باللسانيات الغربية في تجديد البحث اللغوي وتوسيع مجالاته، غير أن عملية التلقي لم تخلُ من مشكلات تتعلق بالترجمة والمصطلح والتطبيق والتبعية النظرية وغياب التكامل المنهجي

Summarized by © lakhasly.com